

الرَّسَالَةُ ٣٤٣

اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ

(Arabic – Before the creation of the world)

أَحِبَّائِي.. حَدِيثَنَا الْيَوْمَ مَوْضُوعُهُ: اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ

وَمِنْ رِسَالَةِ بُولَسِ الرَّسُولِ الْأُولَى إِلَى مُؤْمِنِي أَفَسُسِ الْأَصْحَاحِ الْأَوَّلِ نَقَرْنَا الْعَدَدَيْنِ الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ:

"مُبَارَكُ اللَّهِ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَاتٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ. كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ لِنَكُونَ قَدِيسِينَ وَبِلَا لَوْمٍ قَدَامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ".^١

تبدأ علاقة الإنسان بالله بفتح القلب لمعرفة كلمة الله المسجلة بالكتاب المقدس. فإذا سمح المرء لنور الكلمة أن يسطع ببهائه على قلبه المشتاق للمعرفة. حينئذ يمتلئ قلبه بالإيمان الحقيقي الذي يربطه بعلاقة مع الله. ويستطيع المؤمن الحقيقي تمييز الإيمان بنوعيه: الإيمان القلبى الذى يتميز بسكنى الروح القدس فى القلب. والإيمان العقلى الذى لا يلمس قلب الإنسان لكنه يقبله عقلياً أنه كلام الله. الإيمان القلبى يعطى للحياة الدنيا معنى وقيمة. وللحياة الأبدية تأكيداً وثقة ورجاء. أما الإيمان العقلى فيعطى الإنسان قدرة فكرية على مناقشة الموضوعات الدينية وإمكانية تزويد الآخرين بدائرة معارف لاهوتية. هو كمعلم السباحة الذى لا يجيد السباحة. ويُعطى دُرُوساً فى فنَّ السَّباحة بأنواعها المختلفة. وعلى يديه يتخرج أبطال فى السباحة. وهو لا يأمن على نفسه النزول إلى الماء خوفاً من الغرق. مكتوب أن "الشياطين يؤمنون ويقشعرون". وربما نتساءل: لماذا يقشعرون؟. الإجابة: لأنه مكتوب أن نارا أبدية "معدة لإبليس وملائكته". فكيف لا يقشعرون؟.^٢

إن علاقة الله بالمؤمنين سبق تدبيرها قبل تأسيس العالم. لأن اختيارنا كمؤمنين قد تم قبل تواجدها فى العالم. ومن رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمنى أفسس الأصحاح الأول نذكر تلك الحقيقة. ولكى نفهم تلك الحقيقة. نضرب مثلاً بسيطاً: الطفل الرضيع لا يمكنه إدراك العناية الفائقة التى يتمتع بها من الأم الحاضنة والأب الودود. ولكن عندما يكبر ويصل إلى سنّ الوعى يكتشف أنه كان الشغل الشاغل لأبيه وأمه. كان شغلهم الشاغل وهو فى الرحم وبعد خروجه من الرحم. ثم وهو فى أقمطته. ثم وهو يحبو. ولقد كانت أذرعهما ممدودة إليه وهو يخطو خطواته الأولى فى البيت. لتحفظه من أى سوء وهو لا يدري. فإذا كان الأبوان على هذا النحو. فمن باب أولى وبما لا يقاس عناية الله بمخلوقاته. فهو يعرفها ويهتم بها لأنه أوجدها. وعلى الأخص المخلوق البشرى.^٣

إن الأيلة على ذلك كثيرة من الكتاب المقدس. وقد سجل إرميا النبى فى سفره الأصحاح الأول قول الرب له: "قبلما صورتك فى البطن عرفتك. وقبلما خرجت من الرحم قدستك. جعلتك نبياً للشعوب". اعتذر إرميا بأنه ليس الشخص المناسب فقال: "أه يا سيّد الرب. إني لا أعرف أن اتكلم لأتى ولد". فقال الرب له: "لا تقل إني ولد لأنك إلى كل من أرسلك إليه تذهب وتتكلم بكل ما أمرك به. لا تخف من وجوههم لأنى أنا معك لأنفذك يقول الرب. ومدّ الرب يده ولمس فمه وقال الرب له: ها قد جعلت كلامى فى فمك. انظر قد وكلتك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك. لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبني وتغرس". وقد سجل إشعياء النبى بالأصحاح التاسع والأربعين هذه الأقوال: "الرب من البطن دعانى. من أحشاء أمى ذكر اسمى". وداود النبى فى مزموه التاسع والثلاثين بعد المائة خاطب الرب قائلاً: "لأنك أدت افتتاح كلبتى. نسجتى فى بطن أمى. أحمدك من أجل أنى قد امترت عجباً. عجيبة هى أعمالك ونفسى تعرف ذلك يقيناً. لم تحتف عنك عظامى حينما صيغت فى الخفاء ورقمت فى أعماق الأرض. رأت عيناك أعضائى وفى سفرك كلها كتبت يوم صورت إذ لم يكن واحدٌ منها".^٤ وبالتأمل

^١ رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمنى أفسس ١: ٣ - ٤ ، استمع إلى الإنجيل

^٢ رسالة يعقوب ٢: ١٩ ، إنجيل متى ٢٥: ٤١

^٣ سفر إشعياء ٤٩: ١٥

^٤ سفر إرميا ١: ٥ - ١٠ ، سفر إشعياء ٤٩: ١ ، سفر المزمير ١٣٩:

فيما استهلّ به بولس الرسول رسالته إلى مؤمنى أفسس وَصَّه كَالآتِي: "مُبَارِكُ اللهُ أَبُو رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ.. كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ لِتَكُونَ قَدِيسِينَ وَبِلَا لَوْمٍ قَدَامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ". نلاحظ أن الله أعلن ثلاث حقائق هامة:

أولاً: سرُّ اختيارِ الله للمؤمنين قبل تأسيس العالم.. إنَّ الله عالمٌ بكلِّ شيءٍ. وما نراه نحنُ ماضياً أو حاضراً أو مستقبلاً هو في الحقيقة أمامَ الله حاضرٌ على الدوام. لأنَّ الله أزليٌّ أبديٌّ غيرَ محدودٍ بمكانٍ أو زمانٍ. إنَّ الله لا بدايةَ لعلمه ولا نهاية. ومن الخطأ أن نعتد على إدراكنا المحدود لاستيعاب ما هو غيرَ محدود. إنَّ حدوثَ ما هو فوق الطبيعة ليس تلقائياً أو عشوائياً أو محضَ صدفةٍ أو بناءً على مشيئة بشرية. فهذه المفاهيم مصدرها جهل الإنسان بطبيعة الله غيرَ المحدود. ورفض الإنسان الاعتراف بعجزه. اختار الله قبل تأسيس العالم أتقياءه. يعلم الله السابق للماضي والحاضر والمستقبل. "اختارهم ليكونوا قديسين وبلا لومٍ قدامه في المحبة" كما جاء بنص الآية. لقد أحبهم فضلاً فأحبوه. ودعاهم في حينه فلبوا دعوته. وقدسهم لذاته ليحيوا معه إلى الأبد.^١

قد يسأل سائل: كيف أصبحنا رغم خطايانا وتعديياتنا قديسين وبلا لومٍ قدامَ الله القدوس؟. الإجابة برسالة بطرس الرسول الأولى الأصحاح الأول إذ يقول: "عالمين أنكم افنديتم لا بأشياء تقنى. بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة. التي تقلدتموها من الآباء. بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح. معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم. ولكن قد أظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم". وجاء بإنجيل يوحنا الأصحاح الأول: "إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله. وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه. الذين ولدوا ليس من دم. ولا من مشيئة جسد. ولا من مشيئة رجل. بل من الله".^٢

ثانياً: الملكوت الأبدي معدٌ منذ تأسيس العالم.. يُخبرنا متى البشير عن الملكوت الأبدي بإنجيله الأصحاح الخامس والعشرين بقوله: "ومتى جاء ابن الإنسان في مجده. وجميع الملائكة القديسين معه. فحينئذ يجلس على كرسي مجده. ويجمع أمامه جميع الشعوب. فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء. فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار. ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبي. رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم". ويخبرنا بطرس الرسول في رسالته الأولى الأصحاح الأول عن الميراث الأبدي المحفوظ في السموات لأجل المؤمنين بقوله: "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح. الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية. لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات. لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل. محفوظ في السموات لأجلكم. أنتم الذين بقوة الله محررؤون. بايمان لخالص مستعد أن يعلن في الزمان الأخير. الذي به تنتهجون. مع أنكم الآن إن كان يجب تحزنون يسيراً بتجارب متنوعة".^٣

ثالثاً: النار الأبديّة معدة لإبليس وملائكته.. يُخبرنا متى البشير عن العذاب الأبدي بإنجيله الأصحاح الخامس والعشرين بقوله: "ومتى جاء ابن الإنسان في مجده. وجميع الملائكة القديسين معه. سيحكم على الأشرار حكماً مروعاً بعد أن يقيمهم على اليسار. فحينئذ سيقول لهم: اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبديّة المعدة لإبليس وملائكته". للأسف هؤلاء اختاروا الانضمام إلى مملكة إبليس وهم لا يدرون أنهم بسوء اختيارهم زجوا بأنفسهم وبارادتهم في مكان لم يكن أساساً معداً لهم. فصار مصيرهم في النار الأبديّة المعدة لإبليس وملائكته. وكتب يوحنا اللاهوتي بالأصحاح العشرين من رؤياه: "وكل من لم يوجد مكتوباً في سفر الحياة. طرح في بحيرة النار".^٤

عزيزى القارئ.. أدعوك لتشارك معي في تلك الصلاة: أبانا السماوي.. أشكرُكَ لأجل هبة الخلاص المجانية التي وهبتها لي بالإيمان بيسوع الذي أحببني وسقك دمه على الصليب من أجلي. أسألك ربى عوناً وقوة. أرفع صلاتي في اسم يسوع البار. متكللاً على وعدك الصادق. يا من قلت: من يقبل إلي لا أخرجهُ خارجاً.

أخي القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^٢ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ١١: ٣٣

^٣ رسالة بطرس الرسول الأولى ١: ١٨ ، إنجيل يوحنا ١: ١١ - ١٣

^٤ إنجيل متى ٢٥: ٣١ - ٣٤ ، رسالة بطرس الرسول الأولى ١: ٣ - ٦

^٥ إنجيل متى ٢٥: ٤١ ، رؤيا يوحنا اللاهوتي ٢٠: ١٥